تجليات التّداولية في فهم المنطوق أثناء العملية التّعلمية

د/ بلقاسم بن قطاية
جامعة يحيى فارس المدية (الجزائر)

ملخص:

إنّ التّداولية باعتبارها علم الاستعمال اللّغوي في العملية التّواصلية، تعتمد هذه الأخيرة على تراكيب محدّدة تحمل دلالة معيّنة، يستعملها المتكلم وفق التّصور الذي يحمله، ليدرك المتلقّي معانيها بعد الاستماع.فيحدث التّواصل الذي يترك أثره في الطّرفين المتخاطبين في العملية التّعلمية؛ خاصة المتعلم. و يظهر جاليا في ملامح هذا الأخير من اضطراب أو هدوء أو غير ذلك. كما يعتمد المعلم أثناء تعامله مع القضايا التّعليمية على الاستدلال؛ حيث يعمد إلى الانتقال من مقدمة ثم العرض ليصل إلى النّتيجة،أو الانتقال من النّتيجة كقاعدة عامة ليستدّل عليها بمجموعة من الأمثلة.

كما أن التّفاعل بينهما قائم على مبدإ التّعاون في ضبط كيفية الخطاب و مدّته المستمد من الواقع التّعليمي بحجج منطقية،والذي يحكمه السّياق المدرسي المكاني والزّماني.

Résumé

La pragmatique comme science de la pratique langagière dans l'opération communicative، cette dernière se base sur des structures bien déterminés qui portent des significations spécifiques que le locuteur l'utilise selon. Un concept qu'il porte pour l'apprenant comprenne ses significations (spécifiques) après l'ecoute. ainsi se fera la communication qui laisse sa trace entre les deux interlocuteurs dans l'operation didactique. surtout، l'apprenant qui se manifeste dans les traits de ce dernier comme trouble ou calme ou autres. Et comme l'enseignant dépend dans son travail avec les opérations didactiques de la déduction; et comme il passe de l'introduction ã l'analyse j'usqu'au conclusion comme base générale en l'illustrant avec un groupe d'exemples. et comme l'interactivité entre elles se base sur le pricipe de la solidarite de préciser le genne de message et sa durée tiré de la realité didactique avec des arguments logiques déterminé par le context scolaire spatio- temporels.

* - مقدمة:

إنّ المقاربة التّداولية تُعنى بفهم المعنى في الاستعمال اللّغوي؛ للتراكيب المتعارف عليها بين المتكلم و المتلقي، ضمن سياق معين أثناء العملية التواصلية.تترجمها مفاهيم متبادلة ينقلها الباث - عبر جهازه النطقي منطلقاً من تصورات ذهنية - إلى المتلقي في كلمات متتابعة خطيا يؤطرها سياقٌ محدّد، فيستقبلها هذا الأخير عن طريق حاسة السّمع لتصل إلى دماغه الذي يترجم دلالتها، و يفهمها في سياقها المحدّد، ثمّ ينتج على غرارها كلمات يوجهها إلى الباث الذي يتحول إلى متلقي.و هكذا تتم الدّورة التّواصلية في إطار تداولي داخل السّياق المدرسي في ميدان فهم المنطوق أثناء العملية التّعلمية.

1- التّداولية و مرجعيتها اللّغوية:

إن مصطلح pragmatique تُرجم بعدّة كلمات في اللغة العربية منها: الذّرائعية، التّداولية، الوظيفية، الاستعمالية، التّخاطبية...الخ.ففانديك استعمل مصطلح البراغماتية في كتابه (علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات)[1]. وأحمد المتوكل في كتابه (اللسانيات الوظيفية) استعمل الوظيفية و التداولية بمفهوم واحد[2].في حين استخدم سعد البازعي وميجان الرويلي مصطلح (الذرائعية) في كتابهما (دليل الناقد الفني) [3]. أما محمد محمد يونس علي فإنّه يفضل استعمال مصطلح علم التخاطب.[4]

والتداولية هي: «العلم الذي يدرس المعنى مع التركيز على العلاقة بين العلامات و مستعمليها و السّياق أكثـــر من اهتمامها بالمرجع أو بالحقيقة أو التّركيب».(5)

و بهذا فالتداولية باعتبارها علم الاستعمال اللغوي في العملية التواصلية. تتركز هذه اللغة حسب شارل مـــوريس على ثلاثة مكونات ضرورية متكاملة. هي:التركيب، و الدّلالة، و الوظيفة.(6)

فالمقاربة التداولية تقوم على تراكيب محددة يستعملها المتكلم وفق التّصور الذي يدركه، تحمل هذه التراكيبدلالـــة معينة يقصدها المتكلم و يفهمها المتلقي، تؤدي وظيفة التواصل بينهما. وبهذا يكون لهذه اللغة المستعملة مرجعيـــة فـــي الطرح التداولي.

2- مكونات المرجعية اللّغوية في الطرح التّداولي: يتم تحديد مكونات المرجعية اللغوية في الدراسة التداوليـــة وفـــق الأسس الآتية:(7)

أ- الوضع اللغوي التي تنتمي إليه العبارات اللغوية؛ فكل لغة تكوّنها دلالات لغوية مضبوطة، و هي المكونـــة للمعجـــم اللغوي للبيئة الاجتماعية المعينة. و يجب ههنا أن يشترك المتكلّم و المتلقّي في هذا الوضع.

ب- الخلفيات التّاريخية و الاجتماعية و النّفسية الخاصة التي توجه الإنجاز اللغوي، لا يدرك هذه الخلفيات إلا المنتمـــي إلى هذه اللغة، و تستدعي هذه المعارف ضرورة الملاءمة فيها مع السياق التي تستعمل فيه.

ج- مناسبات الفعل اللغوي؛ أي خصائص التداول اللساني، و التي تضبطها السياقات التواصلية.التي تختلف من مـــتكلم إلى آخر حسب مقاصده و المخاطب حسب تصوراته التي يحملها حول هذه المقاصد.

و انطلاقًا من المقاربة التّواصلية للتداولية لرومان ياكبسون الذي تحدث في مقاربته التّواصلية الوظيفية على ستة عناصر في عملية التّواصل:

المرسل ووظيفته انفعالية، و المرسل إليه ووظيفته تأثيرية(إفهامية)، و الرسالة ووظيفتها شـــعرية (جماليـــة)، و المرجع ووظيفته مرجعية، والقناة ووظيفتها انتباهية(تواصلية)، و اللغة ووظيفتها وظيفة تأويلية وتفسيرية.(8)

فإنّ الأصوات(الرسالة) المنطلقة من المرسل كظاهرة طبيعية يدرك المتلقي أثرها دون أن يـــدرك كنههـــا عـــن طريق حاسة السمع بعد صدورها عن جهاز النطق في شكل ذبذبات صوتية من الباث- لا بـــد و أن تكـــون واضـــحة الفكرة، تحمل ألفاظًا مختارة ،معروضة في أفكار مرتبة و منظمة- لتصل إلى دماغ المتلقي ليفـــك رموزهـــا ويتـــرجم دلالتها داخل البناء اللغوي الكلمة. وقد وضح كمال بكداش كيفية حدوثها حين تكلم عن المعارف الصوتية قائلا:«تتمثـــل هذه المعارف في العقل/ الدماغ في صورة تعليمات عصبية حول الكيفية التي يجب أن تصدر بهـــا الأصـــوات نطقًـــا وإدراكًا ولا تنطوي في حدّ ذاتها على دلالة محددة، إلا أنها تنتظم في أنساق (ترتيبـــات) معينـــة لبنـــاء الكلمـــات ذات الدلالة)» (9) و بهذا نكون أمام كيفية إدراك دلالة المفاهيم التي تساهم فيها قدرات عقلية متعـــددة منهـــا: إدراك وربـــط العلاقات ببعضها البعض،واستثمار المعارف المخزنة في الذاكرة، و القدرة على التمثل...الخ . وبهذا تترابط هذه القدرة لفهم المعاني و إدراك كنهها. ففهم المنطوق حتما يمـــر عبر مهارة الاستماع. و لكن قبل ذلك لا بد من التطـــرق إلـــى إنتاج المنطوق.

4- إنتاج المنطوق: إن الاستماع الجيد بطريقة مقصودة يسهل عملية التّعلم، فبها يعرف المستمع ما يدور حولـــه مـــن أحداث، مما يفضي إلى تفاعله مع من حوله.فتنمو حاسة السمع عنده بناءً على ما تمّ استهلاكه للمادة المنطوقة، وفهمها لها يكون إنتاجه.لذا قيل: "الأصم بالولادة أبكم بالضرورة" والملكة اللغوية المنطوقة تتم عن طريق مهارة السماع التـــي بيّن ابن خلدون أهميتها بقوله:«السمع أبو الملكات».(10) إذ لا يمكن اكتساب مهارة الكلام و لاالقراءة بدون سماع، كمـــا أنّ الإنسان بصفة عامة يتكلم أكثر مما يقرأ أو يكتب.«فالكلام هو من أهم ألوان النّشاط اللغـــوي للكبـــار و الصـــغار، فالنّاس يستخدمون الكلام أكثر من القراءة و الكتابة في حياتهم، أي أنهم يتكلمون أكثر مما يكتبون.و مـــن هنـــا يمكـــن

اعتبار الكلام الشكل الرئيسي للاتصال اللغوي بالنسبة للإنسان. و على هذا يعتبر الكلام أهم جزء في الممارسة واستخداماتها». (11)

فالمنطوق يتجلى في التعبير الشفهي الذي هو مهارة إرسال في العملية التواصلية، ووسيلة من وسائل الإفهام في اتصال الفرد بغيره و بناء روابطه الفكرية و الاجتماعية.كما يتجلى في التّحدث و الكلام و الخطاب.

أ- التّعبير الشفهي:

*- تعريف التّعبير:

- لغة: وردت لفظة التّعبير مطلقة في غير واحدٍ من المعاجم العربية و تعني "التّفسير" فقد ورد ابن منظور تحت مادة (عبر): عبر الرؤيا يَعبُرها عبرًا، و عبّرها:فسّرها، و أخبر بما يؤول إليه أمرها(12) و في التنزيل قال تعالى:" إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ". (13)

- اصطلاحا:يعرّف التعبير إصطلاحا بأنّه: «نشاط لغوي وظيفي أو إبداعي يقوم به الطالب للتّعبير عن الموضوعات المختارة تعبيرًا واضح الفكرة، صافي اللغة، سليم الأداء». (14)

و بهذا فالتعبير عبور يعبربه الطالب من المعاني الذهنية الموجودة في الذهن إلى العالم المحسوس المدرك عير ألفاظ سليمة التراكيب تعالج موضوعات محدّدة، يدرك دلالتها الطالب و الأستاذ معًا. فهذه المعاني تترجمها كلمات و تراكيب لغوية ضمن سياق محدد.

*- التعبير الشّفهي: «هو الكلام المنطوق الذي يصدره المرسل مشافهة، و يستقبله المستقبل استماعا، و يستخدم في مواقف المواجهة أو من خلال وسائل الاتّصال الصّوتي، كالهاتف و التلفاز و الإنترنيت و غيرها».(15)

فالتعبير الشفهي: هو إنتاج الكلام المنطوق مشافهة، يوجهه إلى مرسل معين في مقام محدد قصد فهم معانيه، فالتعبير وسيلة للإفهام.

ب- التّحدث: هو: «القدرة على الاستعمال المناسب للغة في سياقها اللفظية و التّحدث هنا بخلاف الكلام يشمل اللغة و اللغة المصاحبة».(16)فالمتحدث يستعمل لغة معينة، تصاحبها حركات اليد و تعابير الوجه و هيئة الجلوس.

ج- الكلام: هو «ثاني عناصر الاتصال اللغوي، و هو ترجمة اللّسان عما تعلمه الإنسان عن طريق الاستماع، و القراءة، و الكتابة، كما أنه من العلامات المميّزة للإنسان فليس كل صوت كلاما، فالكلام هو اللّفظ و الإفادة، و اللفظ هو الصوت المشتمل على بعض الحروف، و الإفادة ما دلّت على معنًى من المعاني في ذهن المتعلم» (17).

يمتاز الكلام بأنه الإنجاز الفعلي للمفاهيم المجردة التي تدرك عن طريق حاسة السمع، تفيد معاني تخطر بذهن المتعلم.

د- الخطاب: هو«كلّ مقول يفترض متكلّما و مستمعا، تكون لدى الأول نية التأثير في الثاني بصورة ما»(18).

فالخطاب يوجه من شخص ما إلى شخص آخر، يقصد من ورائه إحداث أثر في المتلقي.

إنّنا هنا أمام هذه المفاهيم التي تعبر عن المنطوق الذي يصدر عن متكلم؛أي ينتجه المتكلم، إما أن يكون في شكل تعبير، أو تحدث، أو كلام، أو خطاب. غير أن الذي يهمنا هو التعبير الشفهي أثناء العملية التواصلية بين المعلم و المتعلم في أطره النظامية داخل حجرة الدّراسة.

5- مهارة فهم المنطوق:

أ- المهارة: بما أنّ المهارة حسب تعبير دريفر Driver: "هي السهولة والسرعة و الدقة في أداء عمل حركي"19.

فهي تمتاز بالسرعة الدقة في إدراك وفهم السلسلة الكلامية المنطوقة؛ التي لا بد أن تمر عبر حاسة السمع للاستماع، ثم الإدراك، ثم الفهم. فما هو الاستماع؟

ب- **الاستماع:** بما أنّ الاستماع هو: "استقبال الأذن لذبذبات صوتية من مصدر معين مع إعطائها اهتماما و انتباها، و إعمال الفكر فيها".[20]

لذا فإن الاهتمام بحاسة السمع بغية إكساب المتعلمين مهارات لغوية تبنى عليها مهارات أخرى، ضمن ترابط عقلي معقد، قائم على تسلسل منطقي، ومبني على أسس هي:«تلقي مادة صوتية بقصد فهمها و التمكن من تحليلها واستيعابها واكتساب القدرة على نقدها و إبداء الرأي فيها إذا طلب من المستمع ذلك، فالاستماع هو تلقي الأصوات بقدرة وإرادة و فهم وتحليل و قد ينقطع لعامل ما»[21]

فالتواصل هنا قائم على تلقي أصوات عبر حاسة السمع، و الإرسال مجسد في إبداء الرأي حول المسموع و نقده بعد فهمه و تحليله.

و بهذا فالاستماع إرادي فيه إعمال للفكر، بخلاف السماع الذي هو عفوي؛ أي أنّ السّامع لا يعير لها أي انتباه.

و بهذا فنحن أمام مهارة الاستماع التي تستهدف مهارات فرعية و هي: مهارة **الفهم** الناتج عن **إدراك** السلسلة الكلامية من الباث. و بالتالي فالاستماع يتبعه إدراك للوحدات للمدركة لفهمها، ثمّ استنتاج مقصود المتكلم، كما يلجأ المتعلم إذا كان مستقبلا إلى تخزين المعارف لحينها.فالكلام أو المنطوق هو التجسيد الفعلي للغة، و هو:«ليس حركة بسيطة تحدثُ فجأة، و إنّما هي عملية معقدة بالرغم من مظهرها الفجائي. إلا أنّها تتم في عدّة خطوات: استثارة- تفكير - صياغة- نطق». [22]

و نلمس هذه المهارات في ظل التّدريس بالمقاربات في الجيل الثاني الذي جعل فهم المنطوق في الميدان الأول للعملية التعلمية، ويقوم على جملة من الشروط أثناء التفاعل في فهم النصوص المسموعة. هي:

«- أن يتوفر المنطوق على عنصر الاستمالة، لأن السامع يقتنع بفكرة ما خاصة إذا كانت محتوية لمجموعة من الأدلة و البراهين التي تثبت صحة الفكرة.

- يعتبر المنطوق أداة من أدوات عرض الأفكار و شرحها و نقدها و التعليق عليها.
- يساهم المنطوق في تحقيق حسن التفكير و جودة الأداء عن طريق ترسيخ الأفكار و الربط بينها.
-المنطوق هو أداة إرسال للمعلومات و الأفكار.
- يعتبر الوسيلة الفضلى في التعبير عن المشاعر و الأحاسيس و ترجمتها لفظيا».[23]

ج- **الإدراك:** بما أنّ المنطوق هو أداة إرسال للمعارف و الأفكارو الخبرات و المشاهدات من المتكلم إلى السامع الذي يجب أن يدركها. و الإدراك حسب ستيرنبرغ sternberg «أنه العملية التي يتم من خلالها التّعرف على المثيرات الحسية القادمة من الحواس و تنظيمها و فهمها»[24].

فالإدراك يتجلى في قدرة الإنسان على تنظيم الإحساسات التي تزودنا بها الحواس بهدف فهمها. و بالتالي فهو يقوم على تأويل هذه المعلومات وفق مقصدية الباث ويتلقاها حسب ظروف إنتاج الخطاب. و نكون هنا أمام ترابط:

الإحساس+ التأويل ——◄ الإدراك = الفهم.

ج- الفهم: «و هو نشاط عقلي، الذي يمكن أن يتمثل بها الفرد الكلام و غيره من المعطيات و يدركه.ومن مؤشرات الفهم:

- التحويل: يدل على إمكانية التعبير اللفظي عن شيء ما(صورة مثلا)، أو تغيير الكلمات و المصطلحات و ذلك بالتعبير عن معناها بكلمات جديدة أو بلغة اخرى.

- التأويل: والقدرة على التعرف على الأفكار الرئيسية و إدراك ما بينها من علاقات، و كذا إمكانية استخلاص النتائج الفعلية، ومعرفة النتائج غير المبرر أو المتناقضة و التي يمكن استنتاجها من مجموع المعطيات الواردة من المتكلم أو النّص». [25]

وهنا نصل إلى أنّ فهم المنطوق عملية معقدة يقوم بها المتلقي تنطلق من التقاط الذبذبات الصوتية من مصدر معين عن طريق حاسة السمع لتؤول وتدرك وتفهم في سياقاتها اللغوية و المقامية وفق تصور تواصلي تؤطره المفاهيم التداولية.

5- المفاهيم التداولية في فهم المنطوق: يمكن استثمار المفاهيم التداولية في فهم المنطوق و إدرك معانيه المختلفة. منها:

أ- أفعال الكلام في التواصل التعليمي: ركز جون أوستين John Austin حين قسم الفعل الكلامي على ثلاثة أنواع هي:

1- فعل قولي loctoire: يقابل التلفظ بالأصوات (فعل صوتي)، و التلفظ بالتراكيب (فعل تركيبي)، و استعمال التراكيب حسب دلالاتها (فعل دلالي).

2- فعل إنجازي (القول الفاعل) illocutoire: يحصل بالتعبير عن قصد المتكلم من أدائه: يعدُ، يخبر، يعجب،ينذر، و يشمل الجانب التبليغي و الجانب التطبيقي)

3- فعل تأثيري (استلزامي) perlocutoire: يحصل حين يغيِّر الفعل الإنجازي من حال المتلقي بالتأثيري عليه،كأن (يرعبه، يجعله ينفعل..) و يتميز كلّ فعل من هذه الأفعال بتوفره على قوّة إنجازية. [26]

وبهذا نكون في العملية التواصلية بين أطراف العملية التعلمية (الأستاذ و المتعلم) في فهم المنطوق أمام الفعل الثالث، و هو ما يحدثه المتكلم من أثر في المخاطَب، فالأستاذ أثناء سير الدرس يطرح مجموعة من الأسئلة في بدايته (تقويم تشخيصي)، و أثنائه (تقويم تكويني) ، و في نهايته (تحصيلي). [27] تظهر عليه أثناء الإجابة مثل: التأني في الإجابة، صياغة الألفاظ و التعابير بسلاسة و تسلسل منطقي إذا كان يدرك مقصدية الأستاذ و يعرف الإجابة الصحيحة، أم أنّه يتلعثم في الإجابة و لا يستطيع التعبير بسلاسة و تتناقض أفكاره و ينعدم تسلسلها. فأسئلة الأستاذ أثّرت سلبا على المتعلم و جعلته ينفعل و يرتبك في إجابته. كما أن ملامح وجه المتعلم تظهر في الحالتين. ففي الأولى تظهر عليه ملامح الهدوء و التأني و الراحة النفسية. أما في الحالة الثانية تظهر على وجهه ملامح الاضطراب و الخوف و القلق و تقطع نبرات الصوت...الخ.

فالفعل التأثيري حدث بعد فهم المنطوق، و إدراك ما يريد المعلم منه، فهذا الفعل الإنجازي الظاهر في ألفاظه وسلوكاته و تصرفاته بادية للأستاذ بالتالي يستطيع أن يقوِّم المتعلم و يحدّد مستواه التعليمي.

فتظهر كفاية المتعلم في القدرة على تلقي المنطوق و التعامل معه في وضعيات تواصلية مختلفة.

ب- الحجاج الكلامي في التواصل التعليمي:

*- تعريف الحجاج: يعرّف الحجاج بأنه: «طريقة عرض الحجج و تقديمها». [28] و الحجاج «بمعناه العادي طريقة عرض الحجج وتقديمها، و يستهدف التأثير في السامع فيكون بذلك الخطاب ناجحا فعّالا». [29] و هو «فعل إقناعي و استدلالي يعتمد أساليب ووسائل و تقنيات لغوية و منطقية بهدف الإقناع بفكرة أو قضية أو موقف». [30]

فالحجاج يقوم على طرائق و أساليب ووسائل و تقنيات لغوية، يهدف من ورائها الناطق (المتكلم) التأثير في المتلقي و إقناعه بما يدور في ذهنه من أفكار و مواقف و قضايا. إذن: فهو فعل استدلالي مبني على جملة من الأدلة.

كيف يستخدم الأستاذ الحجاج في كلامه لإقناع المتعلم؟ أو كيف يفهم المتعلم المنطوق ويدرك أدلته و حججه المنطقية؟

لا بد للأستاذ أن يعتمد الاستدلال القائم على الحجة و البرهان في الخطاطة الحجاجية.

*- الخطاطة الحجاجية: تستعمل في النصوص و يمكن أن نستعملها في استنطاق النّصوص أثناء المناقشة. و تتكون من:

أ- الموضوع: و المادة التي يدور حولها الحجاج، و نرجعها بطرح السؤال التالي: ما موضوع النص؟

ب- الأطروحة: و هي نوعان:

- الأطروحة المدافع عنها: و هي وجهة نظر الحجاج في الموضوع
- الأطروحة المرفوضة: و هي وجهة النظر التي يختلف معها الحجاج، و يعمل على تنفيذها.

ج- سيرورة الحجاج: و هي مجموعة الحجاج التي يستشهد بها كل طرف ليدعم أطروحته، و تكون متدرجة وفق نظام معين.

د- النتيجة: و هي الحكم الذي يتم إصداره بعد الفراغ من عملية الحجاج.(31)

- فموضوع النص المبرمجة على المتعلمين والمطروح للنقاش يعالج قضية معينة تحمل أفكارا و قضايا يدافع عنها صاحب النص. فيظهر موقف صاحب النص من خلال استنطاق الكلمات و العبارات و الجمل الموجودة في النّص للخروج بتصور معين عن الطرح الذي يدافع عنه.والجوانب السلبية التي يقف ضدها .

- غير أنّ سير الحجاج يكون بالاستشهاد عن طريق:

*- الاستدلال : هو:«عملية عقلية منطقية ينتقل فيها الباحث من قضية أو عدة قضايا إلى قضية أخرى تستخلص منها مباشرة دون اللجوء إلى التجربة».(32)ويتخذ أشكالا متعددة:«تدريجي؛ بالانتقال من المقدمة إلى النتيجة، أو تقهقري؛ بالانتقال من النتيجة إلى المقدمة، كما يمكن أن يكون ظاهريا؛ يصرح بالدّلالة و بالعلاقات بين عناصر الاستدلال، أو إضماريا؛ يضمر الدلالة و العلاقات بين عناصر الاستدلال».(33)

فالمعلم وأثناء التعامل مع القضايا التعلمية ينتقل من مقدمة ثم العرض ليصل إلى نتيجة،أو الانتقال من النتيجة كقاعدة عامة ليستدل عليها بمجموعة من الأمثلة.

*- القياس: و هو: «نوع من الاستدلال المنطقي يتم فيه الانتقال من مقدمات إلى نتائج تلزم عنها، و يكون هدف النتائج بصدق المقدمات».(34) و هذا ما يلجأ المتعلم إليه في فهم المنطوق القائم على مقدمات يصوغها الأستاذ للوصول إلى نتيجة منطقية يفهمها المتلقي بعد أن يدرك العلاقات بينها.

*- الاستقراء: هو «تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعا».(35)

فالأستاذ ينتقل من دراسة حالة أو حالات جزئية ليستخلص حكما كليا،ثمّ يعممه على كلّ الحالات.وبالتالي فالمتلقي يدرك العلاقات بين الجزئيات و تشابهاتها، من خلال الملاحظة و التتبع الجزئي ليصل إلى هذا الحكم النهائي عبر مسار عقلي.

- عرض الأدلة و فهمها في إطار المنطوق تسير بحجج منطقية قائمة على الاستدلال و القياس و الاستقراء.

و بالتالي يقبلها المتلقي(المتعلم) و يدرك صحتها لأنها خاضعة لقواعد عقلية. و هذا ما يجعله يستعملها أثناء العملية التواصلية -أثناء الدّراسة- مع زملائه، في عرض أفكاره و الاستدلال على صحتها و الدفاع عنها.

كما تساهم هذه الحجج في فهم المنطوق وفق ما يبتغيه المتكلم، و تترك أثرها الإقناعي في المتلقي.

ج- التّفاعل و السّياق:

1- التّفاعل: بما أنّ التّفاعل يحدث بين الأشخاص المتخاطبين أثناء السلسلة الكلامية،بالأدلة اللغوية وفق شروط سياقية و مقامية محددة، قصد تحقيق أغراض محددة .فالتفاعل هو:«سلسلة من الأحداث يكون فيها عدّة أشخاص هم المعنيون بوصفهم فاعلين غير متزامنين أومتزامنين».(36)

لقد تطور بحث التفاعل في بدايته مع اللسانيين الاجتماعيين،أمثال: (فيرث) و (مالينوفسكي)،(هايمز) الذين حددوا الهدف من هذا الاتجاه، في دراسة اللغة في محيطها الاجتماعي، و تحليل ما ينتجه المتكلمــون فــي مكــان و زمــان محدّدين، و بطريقة معيّنة، و لأغراض معروفة...[37]

لذا يجب أن يعرف شخص ما ذو ثقافة معينة أو له قدرة ذاكرة معينة، القيود و القواعد ذاتها و أن يطبقها تطبيقًا دقيقًا حين ينتج منطوقات أو مفهومات، مثل أي شخص آخر. فإذا لم تكن الحال كذلك فإن المنطوق يرد على أنّه غيــر مناسب حيث يبطل التفاعل.[38]

و قد اقترح غرايس - ضمن اهتمامه بالمضمر - مفهوم حِكَم المحادثة. تمثلت فكرته الأساسية في أنّ المتخاطبين عندما يتحاورون، إنّما يقبلون و يتبعون عددا من القواعد الضمنية اللازمة لاشتغال التواصل. و المبدأ الأساسي هو "مبدأ التعاون".[39]ويفترض أن المتخاطبين المساهمين في محادثة مشتركة يحترمون مبدأ التعاون.فالمشاركون يتوقعــون أن يساهم كل واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية ومتعاونة لتيسير تأويل أقوله. يشرح غرايس هذا المبدأ مقترحا أربــع قواعد متفرعة منه، من المفترض أن يحترمها المتخاطبون و أن يستغلوها و هي: قاعدة الكم، و قاعدة النوع، وقاعــدة العلاقة، وقاعدة الكيف.[40] و هي مستقاة مما وضعه الفيلسوف (كانط):

*- الكمية:quantité:أن يكون الخطاب غنيًا بالأخباربشكل كاف فقط، دون زيادة.

*- الكيفية:qualité: أن يكون الخطاب صائبا و حقيقيا اعتقادا، ولا يفقد البرهنة على ذلك.

*- العلاقة relation: أن يكون دقيقا، و أن تكون المساهمة دالة (ذات بال) للحديث.

*- الصيغية (modalité)أن يكون واضحا، غير مبهم، موجزا، منظما. و هو ما يعبر عنه بالنوع.[41]

فنكون أمام كمية الخطاب الذي يفهمه إما الأستاذ أو المتعلم، فالسؤال الذي يطرحــه الأســتاذ يجــب أن يكــون واضحا، ودقيقا يفهمه المتعلم؛ أي يتماشى و قدراته العقلية، والإجابة يجب أن تكون كافية تغطي الســؤال دون إخــلال أو زيادة. أما الكيف فلا بد أن يكون السؤال محددا صائبا لا يحتمل التأويل، كما أن الإجابة أثناء النطق بهــا لا بــد أن تكون واضحة لا لبس فيها، و مرتبة ترتيبا منطقيا.

أما العلاقة أن تكون الأسئلة مستقاه من الوضعية التعلمية، لا خارج عنها، والإجابة عنها تكون نابعة من صــلب الأسئلة ؛ أي توضح الأسئلة المطروحة لا غيرها.

و أما عن الصيغة: لا بد للناطق أن يمتلك الحجج الكافية لإثبات رأيه في قضية ما حين الإجابة عن الأســئلة، و دحض الآراء والمواقف الأخرى التي تخالفه في الرأي..

ففهم المنطوق في العملية التعلمية قائم على مبدأ التعاون بين الباث المتلقي لتيسير تأويل أقوالهمــا فــي الــدورة التواصلية.

2- السياق: «يطلق مصطلح السياق الموقفي في رحاب النظرية الدلالية السياقية على الإطار الخــارجي الــذي يحــيط بالإنتاج الفعلي للكلام في المجتمع اللغوي؛ أو الحيز الاجتماعي الذي ينتج فيه لفظ ما»[42].

فالسياق تدخل فيه جملة من العناصر متعلقة بالمتخاطبين، و الحدث الذي ينجزونه، و النظام اللغوي المستعمل و المعايير الاجتماعية و العادات التي تحدد المنطوق و هذا ما و ضحه فان دايك بقوله:«غير أنّه تدخل في الســياق إلــى جانب المنطوق اللغوي ذاته، مقولات، مثل مستخدمي اللغة، أي: المتكلم السامع و الحدث الذي ينجزونه؛ فمــن خلالــه ينتجون منطوقا أو يستمعون إليه، و النّظام اللغوي الذي يستخدمونه أو يعرفونه، و بخاصة ذلك الــذي يعرفــون فيمــا يتصل بالفعل الكلامي... و في المقابل أنظمة المعايير الاجتماعية و الالتزامات و العادات باعتبار أن هذه العناصر تحدّد بنية المنطوق و تفسره» [43].ولذلك فإنّ دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها حتى مــا كان منها غير لغوي، لأن معنى الكلمة يتعدّل تبعا لتعدّد السّياقات التي تقع فيهــا، أو بعبــارة أخــرى تبعــا لتوزعهــا

اللغوي[44]. و السياق المدرسي المقصود به الحيز المكاني -الممثل في حجرة الدّراسة و وضعية الطالب فيها – و الحيز الزماني – الممثل في المدة الزمنية التي يقضيها في فهم المنطوق – والمشاركون في العملية التواصلية و عددهم والعلاقات المتبادلة بينهم «المشاركون في العملية التّواصلية: في هذا المستوى يؤخذ بعين الاعتبار ما يلي:

- عدد المشاركين: سواء كانت محادثة وجها لوجه، أو بين ثلاثة أشخاص أو يزيدون.
- مميزاتهم الشخصية من حيث العمر، و الجنس، و المهنة، و الحالة الشخصية، أو مميزات أخرى.
- علاقاتهم المتبادلة من حيث درجة معرفتهم و الميل، النفور، الصداقة و المحبة»[45]. فنحن أمام أستاذ و متعلمين، يتقارب فيها المتعلمون في السن لكن يختلفون في الجنس، يمتلكون معارف قبلية ويريدون أن يكتسبوا معارف جديدة حسب الأهداف التي حددّها الأستاذ، تساعدهم في التّواصل أثناء العملية التعلمية.بالإضافة إلى استعدادتهم و ميولاتهم و قدراتهم الفردية التي تجعلهم أكثر فاعلية في إدراك المنطوق وفهمه. كما أنّ العلاقات التي تربطهم ببعضهم البعض داخل الفوج الدّراسي و بأستاذهم لها أثر كبير في ذلك. هذه السياقات كلها مترابطة مع بعضها البعض تساهم في فهم المنطوق حسب مقصدية المرسل أثناء العملية التواصلية.

*** - خاتمة:**

و في الأخير فإنّ فهم المنطوق يخضع لجملة من المرتكزات و المفاهيم التداولية تتجلى في أفعال الكلام خاصة في التأثير على المتلقي(المتعلم) فتجعله يتفاعل أو ينفعل أمام المواقف التعلمية بفعل القوة الإنجازية التي يحدثها الخطاب اللغوي فيه. كما أنّ كلّ طرف من أطراف العملية التعلمية يريد أن يثبت آراءه و مواقفه بحجج تقوم على الاستدلال المنطقي؛ الذي ينتقل فيه الباث من مقدمة إلى عرض ليصل إلى نتيجة، أوعلى القياس؛ الذي ينتقل فيه من مقدمات إلى نتائج، أوعلى الاستقراء؛ الذي يتتبع فيه الجزئيات للوصول إلى قاعدة عامة.فيسهل بذلك إدراك المنطوق وفهم محتوياته المعرفية و فق منهجية و تصور واضح بين الطرفين. كما أنّ المتخاطبين عندما يتحاورون، يتبعون عددا من القواعد اللازمة أثناء التواصل ضمن مبدأ التعاون، هذه القواعد تضمن كمية الخطاب المطلوب أثناء النطق به، و صواب محتواه و دقة كلماته ووضوح معانيه البعيدة عن الغموض و الإبهام. و تظهر أهمية السياق اللغوي و المقامي و الانفعالي و الاجتماعي في إدراك و فهم المنطوق في أطره المدرسية للابتعاد عن التأويل البعيد للمفاهيم والمصطلحات المنطوقة.

*** - الهوامش**

---

[1]- علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، فان ديك، ترجمة سعيد حسن بحيري،دار القاهرة للكتاب، مصر،ط1، 2001م ص:114.

[2]- اللسانيات الوظيفية، أحمد المتوكل، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010م، ص:

[3]- دليل الناقد الفني، سعد البازعي، ميجان الرويلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2000م، ص: 100.

[4]- مدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،ط1، 2004م، ص: 102.

[5] -Sémontique Dictionnaire Raisonné de la théorie du langage، A-J- Greimas، Hachette université, paris, 1979,pp: 335-339.

[6]-التداوليات و تحليل الخطاب، جميل حمداوي، مكتبة المثقف، ط1، 2015م، ص:9.

[7]- ينظر،المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، عبد الحليم بن عيسى، مجلة دراسات أدبية، ع1، 2008م، ص: 14-15.

[8]-ينظر، اللسانيات و نظرية التواصل (رومان ياكبسون نموذجا)، عبد القادر الغزالي، دار الحوار للنشر و التويع، سورية، ط1، 2003م، ص: 51.

[9]- علم النفس ومسائل اللغة، كمال بكداش، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت(لبنان)، ط1 (سبتمبر 2002)، ص: 45.

[10]- العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،عبد الرحمن بن خلدون،دار الفكر،ط1، ج1،ص: 754.

[11]- تدريس فنون اللغة بين النظرية و التطبيق، علي أحمد مدكور، ص:111.

[12]- لسان العرب، ابن منظور،دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ج2، ص: 529.

[13]- سورة يوسف، الآية: 43.

[14]- التعبير (فلسفته، وقعه، تدريسه، أساليب تصحيحه)، عبد الرحمان عبد الهاشمي، دار المناهج للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط 2007م،ص:30.

[15]- الطرائق العلمية في تدريس اللغة العربية، طه علي الحسين الدليمي، سعاد عبدالكريم الوائلي،دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن،2003م،ص: 227.

[16]- المهارات اللغوية، رشدي أحمد طعيمة، دار الفكر، القاهرة، مصر، 2006م، ص: 186.

[17]- المهارات اللغوية، زين كامل الخويسكي، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة، مصر، 2008م، ص: 87.

[18]- تحليل الخطاب الأدبي، إبراهيم صحراوي، دار التنوير، الجزائر،ط1، 2013م، ص: 10.

[19]- المهارات اللغوية (مستويات تدريسها، صعوباتها)، رشدى أحمد طعيمة، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006م،ص: 29.

[20]- الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، محسن علي عطية، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006م، ص: 196.

[21]-أساليب تدريس اللغة العربية، أحمد صومان، دار زهران للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط 2009م، ص:143.

[22]- تدريس فنون اللغة بين النظرية و التطبيق، علي أحمد مدكور، دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، ص:113.

[23]- الوثيقة المرفقة لمنهج اللغة العربية، مرحلة التعليم المتوسط، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، ص: 4.

[24]- علم النفس المعرفي، عدنان يوسف العتوم، دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمان ، الأردن، ط3، 2012م، ص : 102.

[25]- ينظر، تحليل العملية التعليمية، محمد الدريج، قصر الكتاب البليدة، الجزائر، ص: 48، 49.

[26]- في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، بين الحكمة للنشر و التوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009م، ص: 96، 97.

[27]- ينظر، تحليل العملية التعليمية، محمد الدريج، ص: 115.

ص: 106 Georges vignaux diseursive essai d′ une logique(l′argumentation-في اللسانيات التدولية، خليفة بوجادي، نقلا عن. ([28]

[29]- التّداولية و الحجاج (مداخل و نصوص)، صابر الحباشة، صفحات للدراسات و النشر، دمشق، سورية، ط1، 2008م، ص:21.

[30]- ديداكتيك التعبير و التواصل و تدبير التعلمات، على آيت أوشان، دار أبي رقراق للطباعة و النشر، المغرب، ص: 31.

[31]- المرجع، نفسه، ص:37 ، 38.

[32] - ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال و المناظرة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني،دار القلم دمشق، سورية، ط7، 2004م،ص:149

[33] - ينظر، ديداكتيك التعبير و التواصل و تدبير التعلمات، على آيت أوشان، ص:36،35.

[34]- ديداكتيك التعبير و التواصل و تدبير التعلمات، على آيت أوشان، ص: 36.

[35]- ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال و المناظرة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص: 188.

[36]-علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، فان ديك،تر سعيد حسن بحيري،دار القاهرة للكتاب، مصر،ط1،2001م، ص:128.

[37]- ينظر، في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص: 113.

[38]- علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، فان ديك، ص: 117.

[39]- ينظر، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، عبد الرزاق الجمايعي، عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن،ط2012،1م، ص: 63.

[40]- ينظر،التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن وربول، جاك موشلار، ترجمة سيف الدين دغفوس،محمد الشيباني، دار الطليعة للطباع و النشر، بيروت، لبنان،ط1، 2003م، ص: 55.

[41]- في اللسانيات التداولية، خليفة بوجادي، ص: 80.

[42]- مباحث في اللسانيات،أحمد حساني، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي ، الإماراتالعربية المتحدة، ط2، 20013م، ص: 288.

[43]- ينظر،علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، فان ديك،ص: 117، 118.

[44]- ينظر، علم الدلالة، أحمد مختارعمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م، ص:69.

[45]-ينظر، التواصل اللساني و الشعرية (مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون)، الطاهر بومزبر، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، (1428ه-2007م)،ص:31.